

تطور التعليم العالي في مدينة بغداد 1908-1957

د.كمال رشيد العكيلي
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

من المتفق عليه أن هناك طريقا واحدا لنشر الثقافة والقضاء على الجهل هو التعليم. ولعل أبرز مآشده مدينة بغداد من تطور هو ظهور المدرسة ومن ثم إنتشارها بشكل كبير وفق المفهوم الحديث مما أثر في عموم الحياة اليومية ، ومن ضمنها التعليم العالي. إن الإستقرار من أهم ماتحتاجة الجامعة للقيام بواجباتها ولايأتي الإستقرار إلا بالإستقرار الذي يضمن لنا أن تكون الجامعة بعيدة عن ما قد يستجد من الأهواء و النزاعات.

قسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : طبيعة التعليم في مدينة بغداد اواخر العهد العثماني .

المبحث الثاني : مدرسة الحقوق عام 1908 نواة التعليم العالي في مدينة بغداد .

المبحث الثالث: أهمية تأسيس جامعة بغداد عام 1957.

المبحث الاول

طبيعة التعليم في مدينة بغداد أواخر العهد العثماني

لم تكن مدينة بغداد إلا مدينة صغيرة على جانبي نهر دجلة ، فكان الناس في اواخر العهد العثماني ينتقلون فيها مشيا على الأقدام أو على ظهور الخيل ولذا فقد كانت الحيوانات هي وسيلة النقل البرية السائدة ⁽¹⁾ . فكان معظم الموسرين من المشاهير والاغنياء ورجال العلم في بغداد يعتنون بتربية الخيول لا استخدامها في تنقلاتهم وقضاء الأعمال ، ومنهم من ركب الحمير مثل شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي والثري اليهودي المعروف مير الياس ⁽²⁾ . وكان يتم العبور بين جانبي بغداد -الكرخ والرصافة -بواسطة الزوارق التي يسميها أهل بغداد البلام والقفف ⁽³⁾ . وعلى ذكر تطور تصميم المدينة فقد بقي شكل مدينة بغداد بصورة عامة ثابتا الا من ناحية الحجم ، كما بقيت المدينة على ضفتي نهر دجلة توصل الجسور بين قسميها ، فاستوعبت في مستهل القرن العشرين مساحة قدرها حوالي أربعة اميال مربعة ، وكان حوالي ثلث هذه المساحة خاليا أو تشغله مقابر أو أطلال ⁽⁴⁾ . إزاء هذا الوضع عدت المحلة الوحدة الاساسية للمدينة العراقية ومن ضمنها مدينة بغداد ، بل ان الولاء كان للمحلة اولا وقادرا على الاعلان عن نفسه بو سائل جريئة ⁽⁵⁾ .

وبشأن التعليم الذي لم يكن أحسن حالا من المرافق الأخرى ، إذا لم يكن أسوأ منها ، في العهد العثماني ، حيث تفشت الامية بشكل كبير بين سكانها ففي نهاية القرن التاسع

عشر الميلادي كانت نسبة المتعلمين في العراق لاتزيد عن 1% .وعليه فقد اقتصر التعليم بصورة عامة في مدينة بغداد على الكتاتيب (الملالي) ،⁽⁶⁾ وقد يرى البعض بان الكتاتيب لا تُدرس شيئا أكثر من القرآن الكريم.⁽⁷⁾ والحقيقة إن الكتاتيب كانت تعلم اللغة العربية والخط العربي ومبادئ الحساب إلى جانب تعليم القرآن الكريم وتلاوته وعليه فالكتاتيب عبارة عن مدارس أولية لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهي المرحلة الدراسية الوحيدة المتواجدة في أوائل العهد العثماني قبل ان تقوم الدولة العثمانية بإتباع اسلوب التعليم الحديث وذلك بفتح المدارس (المكاتب) الابتدائية تدريجيا لتحل محل هذه الكتاتيب⁽⁸⁾ . ويبدو ان التعليم في الكتاتيب كان كمنزلة المدارس الابتدائية في العصر الحالي خاصة وان الثقافة العامة هي ثقافة كتابية محضة⁽⁹⁾ .وبسبب صدور الإدارة العثمانية عن نشر الثقافة والعلم وإقامة المدارس ، مع تخلف القائمين على إدارة المعارف وشؤونها في مدينة بغداد وعموم العراق ،لذلك نرى الشاعر معروف الرصافي في عام 1909م يتهم بقصيدة على مدير معارف بغداد ويدعى (حسن رفيق بك) يقول فيها :⁽¹⁰⁾

معارف بغداد قد جاءها مدير من الطيش في مسرح
فيا ايها العلم عنها ارتحل ويا ايها الجهل فيها اسلح

كان التعليم الغربي حينها منتشر بين الأقليات الدينية كاليهود والمسيحيين، و تجسد بمستوى عال من التعليم ، ساندتها في ذلك بعثات التبشير التي كانت تخدمها ، متمثلة بالمدرسة اليهودية الفرنسية المعروفة باسم(رابطة الاليا نس)التي تأسست في عام 1864م⁽¹¹⁾ . ويظهر بوضوح ان الأقليات الدينية في الدولة العثمانية قد إستفادت من الإمتيازات الأجنبية وذلك بإقامة مؤسسات ثقافية خاصة بها مدعومة من قبل أفرادها والإرساليات الأجنبية التبشيرية وغيرها التي دخلت العراق في القرن التاسع عشر الميلادي فكانت لهذه الأقليات (النصارى واليهود) مدارسها الخاصة التي إمتازت عن المدارس الحكومية بكونها أرفع مستوى من الناحية العلمية لتنوع مواضيعها ولإهتمامها باللغات الأجنبية .⁽¹²⁾ وقد كان من أول اعمال الوالي العثماني (مدحت باشا) 1869-1872 إدخاله التنظيمات الإدارية إذ لم تكن في بغداد مدارس حديثة إلا بضع مدارس لبعثات التبشير الفرنسية ،لذا أنشأ مدحت باشا عددا من المدارس الحديثة منها (مدرسة الصنائع)عام 1869وهي خاصة بأيتام المسلمين الذين لامعيل لهم يتعلمون فيها النجارة والحدادة والنسيج ،وكذلك إفتتاح (المدرسة الرشدية) في العام ذاته ، تبعها إفتتاح عدد من المدارس الأخرى مثل (المدرسة الرشدية العسكرية) عام 1879و(المدرسة الإعدادية العسكرية) في عام 1879.⁽¹³⁾

وعلى العموم تتميز ولاية مدحت باشا في تاريخ مدينة بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية .ونستطيع القول ان مدينة بغداد تبقى مدينة للوالي المصلح مدحت باشا وأعماله من المؤسسات النافعة والمشاريع العامة .فقد كان محبوبا ذا شعبية من الأهالي

والأجانب المقيمين على حد سواء ⁽¹⁴⁾. وهكذا تميزت ولايته في تاريخ بغداد بأنها ثورة حضرية وعهد نهضة حقيقية أسبغت على المدينة طابعا حضريا دفعها نحو النمو والتقدم كما شكلت ولاية مدحت باشا حدا فاصلا بين عهدين من عهودها ⁽¹⁵⁾. وقد سار الولاة الذين أعقبوا مدحت باشا على نفس خطاه في توسيع التعليم الرسمي الحديث في بغداد والولايات الأخرى في العراق ، و أصبح في عام 1889م في الولايات الثلاث ، وهي بغداد والموصل والبصرة ، (15) مدرسة رشدية مجموع تلاميذها (840) طالبا معظمهم من خريجي الكتاتيب كما شهدت الفترة نفسها إهتماما بالمدارس الابتدائية لاسيما بعد أن أدرك المسؤولون إن هذه المدارس هي الأساس في نظام التعليم الرسمي ⁽¹⁶⁾. وبخصوص طبيعة التعليم وعدد المدارس في مدينة بغداد ، يرى المؤرخ عبدالرزاق الحسني "انه لم يكن في بغداد عام 1908م أكثر من خمس مدارس ، واحدة لليهود (الاليانس) والثانية للمسيحيين وهي اللاتين، وماتبقى للحكومة ولا يدخل في ضمنها الكتاتيب " ⁽¹⁷⁾. وكانت لغة التدريس في تلك المدارس هي اللغة التركية بما في ذلك تدريس قواعد اللغة العربية التي كانت تدرس باللغة التركية . وعليه فان التعليم باللغة التركية يمكن وصفه بأنه كان عائقا أمام تقدم المدارس وإزدهارها في مدينة بغداد وعموم العراق ⁽¹⁸⁾.

من المراحل المهمة في تطور مدينة بغداد الحضاري والثقافي في التاريخ الحديث والمعاصر هو الانقلاب العثماني في الدولة العثمانية عام 1908م وما أعقبه من إعلان الدستور في عام 1909م ، إذ حدثت نقلة إجتماعية وحضارية وثقافية كما يشير العلامة الدكتور علي الوردي متمثلا في كثرة صدور الصحف وقيام الجمعيات ⁽¹⁹⁾. وعلى اثره تغير شكل الإدارة أيضا حيث نظمت دواوين الحكومة وأخذت بغداد تسير نحو المدنية والعمران ، وقامت فيها عدة مدارس رسمية للبنين والبنات وأدخلت اللغة العربية في مناهج التدريس بعد أن كانت مقتصرة على اللغة التركية ⁽²⁰⁾.

المبحث الثاني

مدرسة الحقوق عام 1908 نواة التعليم العالي في مدينة بغداد

جاءت فكرة تأسيس نواة التعليم العالي في تاريخ العراق الحديث بعدما استيقظ أبناء هذا البلد من غفوة طويلة قبيل الحرب العالمية الاولى حيث أنشأت آنذاك بعض المدارس ومنها مدرسة الحقوق عام 1908م ثم توالى قيام مدارس أخرى تحت ظروف مختلفة وفي فترات متفرقة حسب دواعي الحاجة إلى الاختصاصيين . في يوم الثلاثاء المصادف الأول من شهر ايلول / عام 1908م افتتحت رسميا مدرسة الحقوق العثمانية في العراق ، وتعد هذه المدرسة النواة الأولى للتعليم العالي في العراق ⁽²¹⁾. حيث فتحت أبوابها للمتقدمين من خريجي المدارس الإعدادية أو مايعادلها . وكانت مدة الدراسة فيها عند إفتتاحها أربع سنوات . و في عام 1911م تخرجت أول دفعة من هذه المدرسة وبلغ عدد الطلاب المتخرجين عشرة فقط . وكانت الدراسة فيها باللغة

التركية على وفق مؤلفات و مفردات منهج الدراسة الموضوع بتلك اللغة ،وقد وافق والي بغداد أواخر العام 1913م على أن تكون الدراسة في المدرسة باللغة العربية .

ويبدو أنها قد استمرت في التدريس باللغة التركية حتى إغلاقها عند قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914 م وبسبب الحرب خدم تلاميذها ضباط إحتياط في جبهات الحرب . وفي عام 1919م أعيد إفتتاح مدرسة الحقوق وأصبحت مدة الدراسة فيها سنتين ، لكنها لم تعد مجانية بل صارت مقابل أجور سنوية مقدارها (150) روبية تدفع على ثلاثة أقساط ، كما أصبحت الدراسة فيها باللغة العربية . (22)

وبهذا يكون العراق قد سبق أغلب الدول العربية والعديد من دول المنطقة في إنشاء هذا الصرح العلمي ، وفي تخريج أجيال عديدة من الحقوقيين والحقوقيات . ولقد كان للحقوقيين الذين تخرجوا من هذه الكلية دور بارز ومشهود في الحياة الوطنية والثقافية العراقية وفي ميادين القضاء والمحاماة والوظائف العامة و في بناء الدولة العراقية الحديثة عام 1921م حيث شغلوا أعلى المناصب الإدارية والسياسية وشكلوا النخب السياسية التي أدت أدوارا مهمة في تاريخ العراق الحديث في العهد الملكي والعهد الجمهوري على حد سواء⁽²³⁾ . ومما يدل على ان التقاليد الجامعية بدأت تدخل العراق شيئا فشيئا ، رغم عدم وجود جامعة حتى ذلك الوقت في العراق ،تنظيم طلبة كلية الحقوق إحتفالا في (حديقة مود) في عام 1925م إحتفاء بتولي أحد أساتذة الكلية منصبا وزاريا وبحضور نائب المندوب السامي البريطاني وسكرتيرته للشؤون الشرقية (المس بيل) وأستاذ الكلية المحففى به ، وهذا ماجعل كلية الحقوق في قلب أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ العراق .⁽²⁴⁾ وأصبحت كلية الحقوق في منتصف القرن الماضي شعلة للنشطين الوطني والثقافي اثر مواكبة أساتذتها وطلبتها للأحداث السياسية وإنخراطهم في الحركة الوطنية دفاعا عن قضايا الوطن خاصة والعرب عامة وإنغماسهم في الحياة الثقافية والأدبية والفنية الصاعدة .

من المراحل المهمة في تطور مدينة بغداد دخول البريطانيين اليها في عام 1917م ،فقد فوجيء أهل بغداد بهذا الإحتلال ، في كثير من النواحي، لاسيما انه إصطحب معه عدد من المخترعات والنظم والمؤسسات الحديثة⁽²⁵⁾ . وعند قيام الحكم الملكي في العراق عام 1921م وضع مخطط أساسي للمنطقة القريبة من مشهد الإمام أبو حنيفة النعمان بالأعظمية من جهة الجنوب إستعدادا لتنفيذ بناء أول جامعة حديثة في العراق هي جامعة (آل البيت).وقد تم بالفعل وضع مخطط لموقع الجامعة إلا ان ماتم تنفيذه لم يكن أكثر من بناية لكلية واحدة هي (الكلية الدينية)والتي افتتحت رسميا عام 1924م⁽²⁶⁾ .في عام 1927م افتتحت رسميا (كلية الطب) كفرع لجامعة (آل البيت) ،ومثل افتتاح هذه الكلية خطوة كبيرة نحو التقدم لقيامها بتزويد البلاد بالأطباء ، أعقبها تأسيس مدرسة الموظفين الصحيين عام 1930 ، فيما افتتحت كلية الصيدلة عام 1936⁽²⁷⁾ والغريب في الامر انه بالرغم من عدم تنفيذ مشروع جامعة (آل البيت) بأكمله - كما كان مقررا- صدر القرار بغلقها من مجلس الوزراء في عام 1930،فاتخذت بنايتها دارا للبرلمان العراقي ،وفي عام 1935 دارا للمعلمين

الإبتدائية . وعلى العموم فإن منطقة الأعظمية والمنطقة القريبة من باب المعظم أصبحت في فترة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين مركزا للتربية والتعليم بعد تشييد عدد من المدارس والمعاهد التعليمية والكليات مع اقسامها الداخلية (28) من المتفق عليه أن هناك طريقاً واحداً لنشر الثقافة والقضاء على الجهل هو بالتعليم. (29) ولعل أبرز ما شهدته بغداد من تطور وظهور المدرسة ومن ثم انتشارها بشكل كبير وفق المفهوم الحديث واثّر ذلك في عموم الحياة اليومية . إزدياد عدد المدارس الرسمية لاسيما المدارس الإبتدائية وهذا يدل على رغبة السكان الشديدة لتلقي العلم ، ففي العام الدراسي 1924-1925م كان عدد المدارس لكافة المراحل (28) مدرسة ، بينما أصبحت في عام 1937-1938 (129) مدرسة (30) وإلى جانب هذه المدارس الحكومية كان هنالك المدارس الأهلية والأجنبية ، التي وصل عددها في عام 1933-1934م (40) مدرسة أهلية وأجنبية في مدينة بغداد فقط (31) وفي عام 1935م أصبح الدكتور المصري عبدالرزاق السنهوري عميدا لكلية الحقوق في بغداد بعد أن إنتدبته حكومة العراق آنذاك . وقد سعى العلامة السنهوري إلى جعل كلية الحقوق نواة لتأسيس جامعة كبيرة في مدينة بغداد على غرار الجامعة المصرية ، وكاد هذا المشروع المهم يتحقق على يديه لولا معارضة (ساطع الحصري) الذي كان يشغل منصب مدير المعارف العام ويحظى بدعم وإسناد العائلة المالكة في العراق (32) . وللدكتور عبد الرزاق السنهوري آراء خاصة في منهاج كلية الحقوق وواجبها التدريسي تجاه طلبتها . فالسنهوري يرى إن تدريس القانون يجب أن يكون علميا في المرحلة الأولى وعمليا في المرحلة الثانية، وكذلك يرى إن كلية الحقوق هي كلية للثقافة من ناحية وكلية لتعليم الحرفة من ناحية أخرى. لكن مهمة الدكتور عبد الرزاق السنهوري الأولى للعراق إنتهت عام 1936م وعاد للقاهرة بعد أن زرع النواة الأساس التي ستكون يوما ما الركيزة الأولى لجامعة كبيرة في مدينة بغداد . ولم تقتصر أفكار العلامة السنهوري المستقبلية عند هذا الحد بل إنه إصطحب معه الطلبة الخمسة المتفوقين ليكونوا تحت إشرافه في القاهرة ومنهم صلاح الدين الناهي ومحمد طه البشير وعبد الرحمن حمود وعبد الرحمن البسام حيث أكملوا دراستهم في مصر فيما بعد وأصبحوا عماد التعليم العالي في القانون ليس في العراق فحسب بل شمل أيضا كافة البلاد العربية. ومن المفارقات التي حصلت في كلية الحقوق ببغداد في العام الدراسي 1936-1937م ترك الطالب محمد صالح بحر العلوم في السنة الثانية من دراسته الكلية لضيق حالته المادية ليصبح فيما بعد من أعمدة الشعر في العراق (33) . وعُرفت كلية الحقوق في عام 1969م بكلية القانون . في خريف عام 1953م إفتتحت كلية طب الأسنان وكانت في حينها مديرية تابعة إلى عمادة كلية الطب . وبدأت الدراسة فيها على أساس منهاج دراسي لمدة خمسة سنوات ،وتولى إدارتها في ذلك الوقت الدكتور علي ناصر، و روعي أن تكون مناهجها مطابقة لأرقى الكليات العلمية في العالم . (34) من الجدير بالذكران للمرأة ، في العراق عامة و مدينة بغداد خاصة ،حضور فاعل ودور مشهود في الحياة الوطنية وفي

الميدان العلمي و النشاط الثقافي .و قد بدأت كلية الحقوق التي أسست عام 1908م في مدينة بغداد بقبول الفتيات العراقيات للدراسة فيها منذ الثلاثينات من القرن العشرين ،حيث تخرجت أول عراقية فيها وهي المحامية -صبيحة الشيخ داود - عام 1937م⁽³⁵⁾ الأمر الذي يؤكد قيام تغيرات جذرية في المجتمع العراقي . كما بدأت كلية الطب التي أسست عام 1927 بقبول الفتيات العراقيات للدراسة فيها منذ الثلاثينات من القرن العشرين أيضا ،و تخرجت أول طبيبة عراقية فيها هي الدكتورة ملك غنام عام 1938.⁽³⁶⁾ وفي عام 1946م تولت ولأول مرة عمادة كلية امرأة عراقية وهي الست (أمت السعيد) حيث أصبحت في ذلك العام عميدا لكلية الملكة عالية للبنات خلال العهد الملكي .وفي العهد الجمهوري تقلدت الدكتورة (روز خوري) عام 1958م منصب عميد للكلية نفسها بعد أن تحول إسمها إلى كلية التحرير للبنات . وولجت المرأة العراقية ميدان التدريس في الكليات والمعاهد العليا قبل غيرها في الكثير من البلاد العربية .ومن الرائدات في التدريس في جامعة بغداد على سبيل المثال لا الحصر الدكتورة نعيمة الشماخ ، والدكتورة سعاد خليل اسماعيل والدكتورة باكرة رفيق حلمي (دار المعلمين العالية) ، والدكتورة آنة ستيان والدكتورة لميعة البدري والدكتورة لمعان أمين زكي والدكتورة سائحة أمين زكي (كلية الطب) ، والدكتورة جانبيت توفيق قصير (كلية الصيدلة) ، ومليحة رحمة الله وعزة الاستربادي ومليحة عوني القصير وأنيسة السعدون (كلية الملكة عالية للبنات) ، والدكتورة مي عارف قفطان والدكتورة أمينة أحمد رمزي والدكتورة ألبرتت حبوش (كلية العلوم)⁽³⁷⁾ والدكتورة وديعة طه النجم وسهيله أسعد نيازي (كلية الاداب).

كما برزت المرأة العراقية في ميدان الشعر والفن وإحتضنت جامعة بغداد العديد من هذه المواهب .فلقد كانت الشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي والحاصلة على الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا عام 1956م إستاذة في دار المعلمين العالية بجامعة بغداد منذ الخمسينات من القرن العشرين . و الفنانة نزيهة سليم التي أسهمت في إرساء أسس الفن العراقي الحديث ، فكانت أول امرأة في البلاد العربية تتلقى علومها في المدرسة العليا للفنون (البوزار) في باريس للمدة من 1947-1951م ، وأصبحت فيما بعد محاضرة لمادة التربية الفنية في كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد.

ولايفوتنا أن نذكر بأن رائدة الشعر العربي الحديث الشاعرة المبدعة (نازك الملائكة) هي ابنة جامعة بغداد أيضا حيث تخرجت في دار المعلمين العالية عام 1944م . وفي ميدان آخر يبرز للمرأة العراقية حضورها فكانت الست (زاهدة إبراهيم) أول امرأة تتولى الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة بغداد ولمرتين للمدة من عام 1974-1982. وهناك أمثلة كثيرة نعتز بها تعكس مكانة المرأة ودورها الرائد في النهوض بمؤسساته العلمية وحياته الثقافية⁽³⁸⁾.

المبحث الثالث

أهمية تأسيس جامعة بغداد عام 1957

في بلاد النهرين وعلى أرض سومر تأسست أول مدرسة في العالم فيها عرف السومريون الكتابة لأول مرة في التاريخ، واكتشفت عدد من الألواح الطينية تقارب الألف يحمل بعضها نصوصا تمثل تمارين مدرسية مما يؤكد مدى إهتمام العراقيون القدماء بالعلم، وذكر ان عدد الذين مارسوا الكتابة حينذاك كان يزيد على الآلاف، كما أثبتت التحريات والتنقيبات الاثرية في (تل حرم) الواقع قرب مدينة بغداد وجود المدارس المتخصصة بالعلوم البحتة عند البابليين القدماء، وولع بعض ملوك الآشوريين في جمع الكتب، ونقصد بها الألواح الطينية أو الرُقَم المدونة بالخط المسماري فأنشأوا منها مكتبات ضخمة.

ويحفل تاريخ العراق في العهد الإسلامي بذكر المدارس التي كان يؤمها الطلاب من مختلف الأقطار ومنها المدرستين المستنصرية والنظامية، وقد لعبت هذه المدارس دورا كبيرا في تغذية الثقافة وتطوير العلوم والفنون⁽³⁹⁾ إن فكرة تأسيس الجامعات بات مطلبا ضروريا للعراقيين اثر إنتشار الوعي الثقافي والعلمي الذيحدث على خلفية ماكتبه بعض المخلصين من أبناء هذا الوطن، مما دفع الحكومة إلى تشكيل أول لجنة عام 1943م لدراسة مشروع إنشاء جامعة ووضع الاليات والأسس التي ترشد إلى كيفية تنفيذ هذا المشروع انذاك، وترأس تلك اللجنة الخبير البريطاني (المستر هملي) وكان من بين أعضائها فريق من العمداء والمربين العراقيين. وقد أكدت تلك اللجنة بأهمية الجامعة والفائدة المرجوة من تأسيسها، واستمرت دراسات اللجنة حتى شرع قانون جامعة بغداد في شهر ايلول / 1956م فكان الحجر الأساس لبناء هذه الجامعة وتأسيسها رسميا، إلا ان هذا القانون بقي معطلا أكثر من سنة كاملة ولم يتم المباشرة بتنفيذه حتى أواخر عام 1957م حين نُصب الدكتور (متي عقراوي) أول رئيس لجامعة بغداد، وخمسة أساتذة أعضاء في المجلس التأسيسي للجامعة، وكان من ضمن مهام المجلس دراسة واقع الكليات، وإجراء التغييرات الضرورية فيها، وإتخاذ الخطوات اللازمة لربطها بالجامعة، ومن ثم ضمها إليها في أوقات لاحقة⁽⁴⁰⁾ بعد قيام ثورة 14/تموز / 1958م توقف عمل المجلس التأسيسي للجامعة شأنه شأن المشاريع الأخرى التي لم يستكمل تنفيذها، فشكلت لجنة ألغت قانون الجامعة لسنة 1956م، واستعاضت عنه بقانون آخر رقم (28) لسنة 1958م و المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (34) في 20/ ايلول / 1958م الغي بموجبه المجلس التأسيسي وحل محله مجلس الجامعة الذي إجتمع أول مرة في شهر تشرين الثاني / عام 1958م ثم توالى قوانين وتعديلات أخرى بشأن جامعة بغداد إذ تم بموجب قانون عام 1959م الإعتراف بجامعة بغداد وكلياتها انذاك وهي كلية الطب، كلية الآداب، كلية العلوم، كلية التربية، كلية الهندسة، كلية الصيدلة، كلية طب الاسنان، كلية التمريض، كلية الزراعة، كلية الطب البيطري، كلية الحقوق، وكلية التجارة. ثم قرر مجلس

الجامعة، في تلك الفترة، إفتتاح ثلاثة معاهد عالية هي معهد العلوم الإدارية، ومعهد اللغات، ومعهد المساحة، وإستئناف الدراسة المسائية في كليتي الحقوق والتجارة. بلغ عدد طلاب جامعة بغداد بعد مرور سنة واحدة على تأسيسها (11618) طالبا وطالبة، من بينهم (2325) طالبة و(9293) طالبا. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت جامعة بغداد الجامعة الأم التي ولدت في أحضانها بقية جامعات العراق حيث رفدتها بالكفاءات والخبرات العلمية والبحثية. إن الحديث عن جامعة بغداد ونشأتها هو في الواقع حديث عن نشأة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق نظرا لكون جامعة بغداد ليست أكبر مؤسسة علمية فيه فحسب بل هي المؤسسة العلمية الرائدة التي انطلقت منها الملاكات التدريسية والفنية والإدارية المدربة تدريباً عالياً لتنتشر على مساحة الجامعات العراقية الأخرى التي تأسست فيما بعد، كما رفدت المؤسسات الحكومية بملاكات متخصصة ساهمت في رفع الاداء الوظيفي في العراق. تم اختيار موقع جامعة بغداد لجمع كلياتها ومعاهدها في بقعة جميلة تقع في الزاوية الجنوبية من مدينة بغداد في ضاحية الجادرية، وإمتاز بكونه محاطا بنهر دجلة من جهاته الثلاث. وقد اختاره - في تلك الفترة - المعمار البريطاني الشهير (ولتر كرو بيوس) ووضع تصميمًا عُد من أجمل تصاميم الجامعات في حينها، وعلى مساحة تقدر بمليونين ونصف المليون متر مربع⁽⁴¹⁾ وتجلت عبقرية إختيار موقع الجامعة إن مدينة بغداد مهما نمت واتسعت فإنها لن تطغي على أراضيها، وسيبقى موقع الجامعة معزولا عن ضوضاء المدينة و صخبها، لكنه بالوقت نفسه قريب منها يسهل الوصول إليه في بضع دقائق بفضل الجسر الذي سيربطه بقلب المدينة⁽⁴²⁾. وتمتاز جامعة بغداد بمكانتها بين الجامعات العراقية في عبقرية المكان، فهذا المكان ظل يحتفظ بروح جذلة تطيب له النفس وكأن الاقدار ساقته لها فرصا لم تتحقق لغيرها، ولعل أكثر مايعطي الاعتبار لهذا المكان هو قدرته على الإستجابة لمناخ العلم والتعليم. فلقد قدر لهذه الجامعة أن يُختار لها مكانا على شبه جزيرة تغطيها الخضرة، وتحيط بها المياه من كل جانب، موقعا يجتمع فيه الضدان، فأنت تارة في قلب المدينة وتارة أخرى بعيد عنها⁽⁴³⁾.

فقم بعلم ولا تقبل به بدلا

فالناس موتى واهل العلم احياء

ماالفضل الا لاهل العلم انهم

على الهدى لمن استهدى ادلاء

وقيمة المرء ماقد كان يحصنه

والجاهلون لاهل العلم اعداء

يهدف كتابة تاريخ جامعة بغداد إلى التعريف بتاريخها المجيد ، وتوثيق أمجادها ، وإستذكار دور أساتذتها الرواد ، وهي الآن بما تحتله من مكانة مشهودة في ميدان التعليم العالي ، تُضاهي الجامعات العالمية ، بعد أن قطعت رحلة مليئة بالعلم والعطاء رحلة إمتدت إلى أكثر من نصف قرن من الزمان . فقد مرت الجامعة بمراحل تاريخية عديدة مرورا بالحكم الملكي والجمهوري ، فكانت منبرا للعلم والثقافة ، رفدت الوطن بالآلاف من طلبة العلم ورواد الفكر والثقافة والسياسة فكانت قاعاتها ميدانا خصبا للحوارات وأرضا معطاءة للفكر .

قال العلامة الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ : " سميّت جامعة بغداد الجامعة الأم ولقبُها أم الجامعات ، وهي من أمهات الجامعات في العالم اليوم ، ثم إنها وارثة المدرسة الأولى في تاريخ العالم وفي تاريخ العلم ، المدرسة التي إبتدأ بها التاريخ وإبتدأت بها الحضارة قبل ستين قرنا في العراق ، وهي أيضا وارثة مدارس مكة والمدينة والكوفة والبصرة ، ووارثة بيت الحكمة ، ووارثة دور العلم ، ووارثة المدرستين الكبيرتين النظامية أم المدارس والمستنصرية ست المدارس ، ووارثة مدارس بغداد ، ومدارس العراق ، وسائر المدارس في الوطن العربي والعالم الإسلامي في تاريخ العرب والإسلام " .⁽⁴⁴⁾ لقد أثبتت جامعة بغداد منذ تأسيسها إلى يومنا هذا انها الركن الأساسي والفعال للبناء والتقدم والتطور الذي حدث في هذا البلد ويتجسد ذلك واضحا من خلال ما أسهمت به من رفد لجميع مدارس ومعاهد وكليات العراق الأخرى بالأساتذة والمختصين والتربويين الذين قادوا المسيرة العلمية لسنوات، فضلا عن ذلك فان الجامعات العراقية التي تأسست تباعا فيما بعد كان أساتذتها وتدرسييها هم غالبا من خريجي هذه الجامعة العريقة ، وبذلك إستطاعت خلال عمرها الزاخر والحافل بالإنجازات أن تقدم عطاء متميزا كبيرا تجاوز الحدود المقررة في اطار مهنتها التعليمية الأساسية والبحثية ، و إحتلت مكانة علمية وفكرية قيادية ، وأثرت تأثيرا كبيرا في صياغة الفكر وبناء الإنسان . ولتزايد متطلبات البلد في مجالات التنمية المختلفة، فرض على جامعة بغداد التوسع بإتجاهات مختلفة من حيث أعداد الطلبة والملاكات العلمية والفنية العاملة في مؤسساتها فإمتد نشاطها العلمي إلى مدن أخرى في العراق . إن من يُقلب صفحات تاريخ جامعة بغداد منذ النشأة الاولى وحتى وقتنا الحالي لا يجد إلا الاشرقة المضيئة المفرحة التي تبعث الإطمئنان في النفوس⁽⁴⁵⁾ ، بدءً من ثلة علمائها وأساتذتها الذين تولوا على قيادة مسيرتها العلمية - هؤلاء الذين تركوا بصماتهم الواضحة خلال توليهم رئاستها⁽⁴⁶⁾ . أكد الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي ترأس جامعة بغداد للفترة 1959 - 1963 " إن الاستقرار من أهم ماتحتاجه الجامعة للقيام بواجباتها ، ولايأتي الإستقرار إلا بالإستقلال الذي يضمن لنا ان تكون الجامعة بعيدة عما قد يستجد من الأهواء والنزاعات " .⁽⁴⁷⁾ لقد مرت جامعة بغداد منذ تأسيسها إلى يومنا هذا بمراحل مختلفة ، منها ماكانت نتائجها سلبية أثرت بنحو واضح على مسيرتها وخاصة الحروب التي شهدتها العراق ، إذ تعرضت العديد من مؤسساتها وكلياتها ومعاهدها إلى دمار كبير ،

فضلا عن ان الجامعة بقيت في عزلة تامة بعيدة عن كل مراحل التطور العالمي فلم يكن لها أي إتصال أو تعاون مع الجامعات العالمية وخاصة خلال فترة ثلاث عشرة سنة هي فترة الحصار الإقتصادي ابان عقد التسعينات من القرن العشرين ،فهذه الفترة أبعدتها عن مواكبة التقدم العلمي في العالم بعدما إنطلقت مسرعة في بداية نشأتها .ولكن ومع هذا كله لم يقف المسؤولون في هذا الصرح الثقافي العريق مكتوفي الأيدي حيال ما وقع عليها من أحداث فبادروا إلى إعادة إعمار مؤسساتها وسد الثغرات التي حصلت فيها ، فإنطلقت وبدأت مرحلة جديدة بعد سقوط النظام السابق عام 2003 فشهدت جامعة بغداد إسوة ببقية المؤسسات العلمية الأخرى في العراق عهد من أبرز سماته الديمقراطية في إختيار قيادات علمية كفوءة لإدارة المسيرة العلمية في الجامعة على الرغم الظروف الأمنية الصعبة التي دفعت إلى هجرة الكثير من العقول والكفاءات العلمية ، فضلا عن إغتيال العديد منها في ظروف غامضة حيث غالبا ما تسجل التهمة ضد مجهول ، وعليه يبقى السؤال الأهم ...لماذا يتعرض علماء العراق إلى الإغتيال ومن المستفيد ؟ومع هذا كله شهدت جامعة بغداد نوعا من التطور إذ إستطاعت أن تعيد الإتصال بالجامعات العالمية الأخرى ، و تعيد نظام البعثات الدراسية بعد إنقطاع طويل ، وتمكنت من الحصول على تجهيزات علمية وتكنولوجية حديثة ، وأعادت إعمار قسم من مختبراتها العلمية.

(48) من درر الشعراء التي زينت جيد بغداد قصيدة الشاعر -مصطفى جمال الدين -التي يقول فيها:

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصر

الا ذوت ووريق عمرك اخضر

الخاتمة

جاءت فكرة تأسيس تعليم عالي في تاريخ العراق الحديث بعدما إستيقظ أبناء هذا البلد من غفوة طويلة قبيل الحرب العالمية الأولى حيث انشئت بعض المدارس ومنها مدرسة الحقوق عام 1908 ثم توالى تحت ظروف مختلفة وفي فترات وحسب دواعي الحاجة إلى الاختصاصيين فكانت هذه المدرسة النواة الأولى للتعليم العالي في مدينة بغداد . ولقد مر التعليم بسلسلة من التطور من حيث التوسع والإنتشار وصولا إلى تأسيس جامعة بغداد عام 1957 الجامعة الأم ،وارثة المدرسة الأولى في تاريخ العالم المدرسة التي إبتدا بين أروقتها وقاعاتها التاريخ والحضارة . فكانت جامعة بغداد عاملا إيجابيا في حياة العراقيين جميعا وعلى كافة الاصعدة ، وصرحا علميا كبيرا ، ومنارا وضاءا على مدى أكثر من نصف قرن ، انها قنديل العراق الأول التي أنارت الطريق أمام أبنائه بعد غفوة طويلة وفتحت بصيرتهم بعد عتمة حالكة .

الهوامش

- (1) الجميلي ، صادق ، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية ، مجلة أمانة العاصمة ، 1979 العدد (19) ، ص 20.
- (2) الحجيبة ، عزيز جاسم ، بغداديات ، وزارة الثقافة والارشاد ، (بغداد ، 1967، ج1، ص 170
- (3) العلوجي، عبد الحميد ، "التراث الشعبي" ، حضارة العراق ، ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1985)، ج 13 ص 54.
- (4) الحسن، عبد الرزاق و عبد العزيز الدوري ، بغداد ، ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1984)، ط1، ص 158-159.
- (5) بطاطو ، حنا ، العراق ، الكتاب الأول ، مؤسسة الأبحاث العربية ، (بيروت ، 1990)، ص 39.
- (6) الهلالي، عبد الرزاق ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638-1917، ط1، شركة الطباعة والنشر الأهلية ، (بغداد ، ، 1959)، ص 150.
- (7) فوستر، هنري ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الفجر للنشر والتوزيع ، (بغداد ، 1989)، ط1، ج2، ص 353.
- (8) نديم، شكري محمود ، العراق في عهد السيطرة العثمانية ، دار دجلة ، (عمان ، 2008)، ص 83.
- (9) الكتائب ، مجلة بغداد ، العدد (18)، آذار ، 1965، ص 22.
- (10) ديوان الرصافي ، شرح وتعليقات مصطفى علي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1977)، ج 5، ص 431.
- (11) لونكريك، ستيفن همسلي ، العراق الحديث 1900-1950 ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة حسام ، (بغداد ، 1988)، ط1، ج 1 ص 42.
- (12) نديم ، المصدرا لسابق ، ص 87-88.
- (13) الجنوري، جميل ، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب ، مجلة آفاق عربية ، العدد (3) ، آذار 1987، ص 90.
- (14) فوك، وليم بيرى ، احوال بغداد في القرن ال 19، ترجمة عبود الشالحي ، مطبعة الرابطة ، (بغداد 1960)، ص 23.
- (15) جواد، مصطفى وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد 1958)، ص 231.
- (16) نديم ، المصدرا لسابق ، ص 86-87.
- (17) الزبيدي، فخري ، بغداد من 1900-1934 ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1990)، ج 1، ص 48.
- (18) نديم ، المصدرا لسابق ، ص 91.
- (19) العرداوي، عادل ، علي الوردي وحديث عن بغداد ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (11)، تموز ، 1977، ص 36.
- (20) الزبيدي ، المصدرا لسابق ، ص 20.
- (21) لونكريك ، المصدر السابق، ص 89 . طه مكي ، تاريخ بغداد الحديثة ، مطبعة دنكور الحديثة ، (بغداد 1935)، ص 93. (22) حمودي، صفد حسام ، كلية القانون أبرز خريجيه رؤساء حكومات ومعارضون ، جريدة المدى، بغداد، بتاريخ 2010/5/31، ص 4.
- (23) جريدة الدستور ، بغداد ، بتاريخ 2010/12/22، ص 22.
- (24) المصدر نفسه .
- (25) العرداوي ، المصدر السابق ، ص 36-37.
- (26) مهدي، سعاد ، التطور الحضري لمدينة بغداد 1900-1960، مجلة آفاق عربية ، العدد (8)، اب ، 1988، ص 42.
- (27) الهلالي، عبدالرزاق ، معجم العراق ، ج 1، مطبعة النجاح ، (بغداد ، 1953)، ص 213.
- (28) مهدي ، المصدرا لسابق ، ص 42.
- (29) هاكوبيان، موسيس دير ، حالة العراق الصحية في نصف قرن ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1981)، ص 118.
- (30) وزارة المعارف ، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1936-1937 و 1938-1939، مطبعة الحكومة ، (بغداد 1939)، ص 4، 8.
- (31) وزارة المعارف ، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1933-1934، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1935)، ص 22.
- (32) جريدة الدستور ، بغداد ، تاريخ 2010/12/22، ص 22.
- (33) المصدر نفسه .
- (34) مجلة صدى جامعة ، العدد (20) ، بتاريخ حزيران / 2010، ص 30-34.
- (35) داود، صبيحة الشيخ ، اول الطريق ، مطابع الرابطة ، (بغداد ، 1958)، ص 61.
- (36) العقابي، طالب إبراهيم ، "الخدمات الصحية" ، حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1985)، ج 3، ص 139.
- (37) مجلة صدى جامعة بغداد ، العدد (12)، تاريخ نيسان / 2008، ص 22.
- (38) المصدر نفسه .
- (39) الملاك، قحطان حبيب ، ناس من بلدنا ، مطبعة الأديب ، (بغداد ، 2001)، ص 98.
- (40) مجلة صدى جامعة بغداد ، نيسان / 2007، ص 4-5.

- (41) المصدر نفسه .
- (42) الملاك ، ا لمصدرا لسابق ، ص 102.
- (43) مجلة صدى جامعة بغداد ، العدد (20)، بتاريخ حزيران / 2010، ص 7.
- (44) مجلة صدى جامعة بغداد ، نيسان / 2007، ص 3.
- (45) المصدر نفسه ، ص 8.
- (46) المصدر نفسه ص 5.
- (47) الملاك ، ا لمصدرا لسابق ، ص 108.
- (48) مجلة صدى جامعة بغداد ، نيسان / 2007، ص 6-7.

المصادر

اولا : الكتب :

- (1) حنا بطاطو ، العراق، الكتاب الأول، مؤسسة الأبحاث العربية ، (بيروت ،) 1990.
- (2) ديوان الرصافي ، شرح وتعليقات مصطفى علي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد، 1997) ، ج 5.
- (3) عبد الحميد العلوجي، التراث الشعبي، حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1985) ، ج 13.
- (4) عبد الرزاق الحسني و عبد العزيز الدوري ، بغداد ، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1984) ، ط 1.
- (5) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، مطبعة النجاح ، (بغداد، 1953).
- (6) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638-1917 ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، (بغداد ، 1959) ، ط 1.
- (7) عزيز جاسم الحجية ، بغداديات، وزارة الثقافة والإرشاد، (بغداد، 1967) ج 1 .
- (8) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث 1900-1950، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة حسام ، (بغداد ، 1988) ، ط 1 ، ج 1 .
- (9) شكري محمود نديم ، العراق في عهد السيطرة العثمانية ، دار دجلة (عمان ، 2008) .
- (10) صبيحة الشيخ داود، أول الطريق ، مطابع الرابطة ، (بغداد ، 1958) .
- (11) طالب إبراهيم العقابي ، الخدمات الصحية ، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة ، (بغداد، 1985) ، ج 13.
- (12) طه مكي ، تاريخ بغداد الحديثة ، مطبعة دنكور ، (بغداد، 1935).
- (13) فخري الزبيدي ، بغداد من 1900-1934، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1990) ، ج 1.
- (14) فحطان حبيب الملاك ، ناس من بلدنا ، مطبعة الأديب ، (بغداد ، 2001) . (15) مصطفى جواد وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1958).
- (16) موسيس دير هاكوبيان ، حالة العراق الصحية في نصف قرن، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1981).
- (17) هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي، الفجر للنشر والتوزيع ، (بغداد ، 1989) ، ط 1 ، ج 1 .
- (18) ولیم بیری فوک ، أحوال بغداد في القرن الـ 19، ترجمة عيود الشالجي ، مطبعة الرابطة ، (بغداد، 1960) .

ثانيا : التقارير

- (1) وزارة المعارف ، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 33-1934، مطبعة الحكومة ، بغداد، 1935.
- (2) وزارة المعارف ، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنتي 36-1937 و 37-1938، مطبعة الحكومة ، بغداد، 1939.

ثالثا : المجلات

- (1) صادق الجميلي ، حكاية الكاري بين بغداد والكاظمية ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (19)، 1979.
- (2) عادل العرداوي ، علي الوردي وحديث عن بغداد ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (11)، تموز ، 1977.
- (3) الكتائب ، مجلة بغداد ، العدد (18)، اذار ، 1965.
- (4) جميل الجبوري ، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب ، مجلة آفاق عربية ، العدد (3)، اذار ، 1987.
- (5) سعاد مهدي ، التطور الحضري لمدينة بغداد 1900-1960، مجلة آفاق عربية ، العدد (8)، اب ، 1988.
- (6) مجلة صدى جامعة بغداد ، نيسان - 2007.
- (7) مجلة صدى جامعة بغداد ، العدد (12)، نيسان - 2008.
- (8) مجلة صدى جامعة بغداد ، العدد (20)، حزيران ، 2010.

رابعا : الصحف

- (1) صحيفة المدى ، بغداد ، بتاريخ 2010/5/31.
- (2) صحيفة الد ستور ، بغداد ، بتاريخ 2010/12/22.